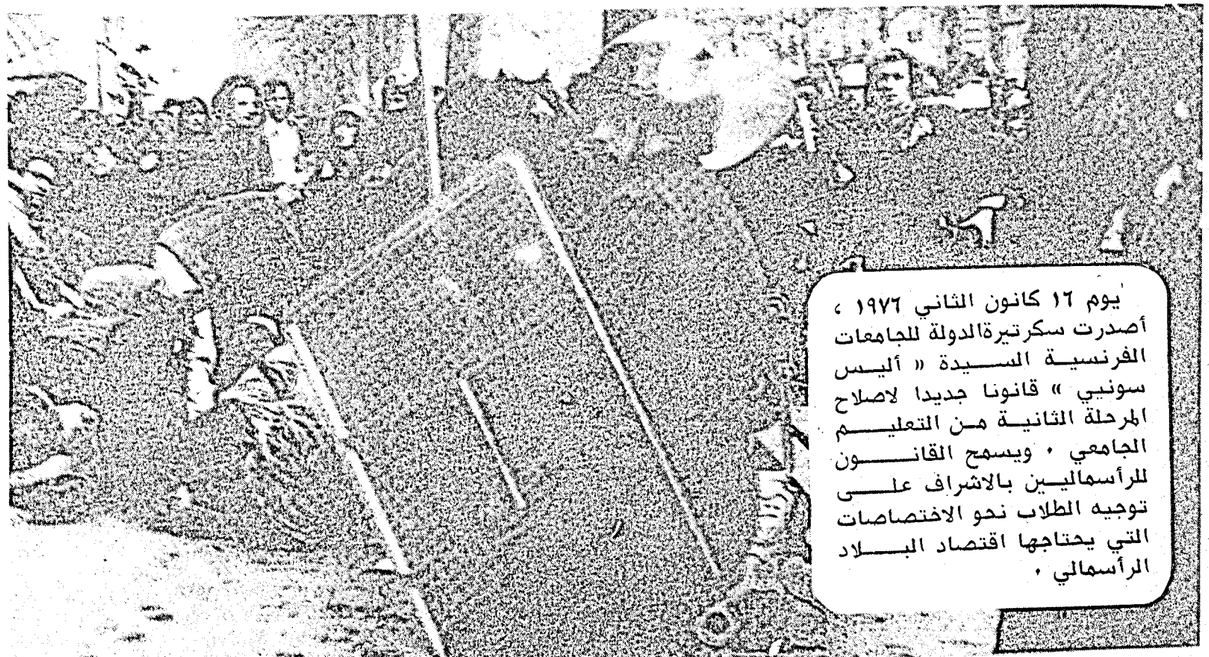

يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٧٦ ، أصدرت سكرتيرة الدولة للجامعات الفرنسية السيدة « أليس سونيي » قانونا جديدا لاصلاح المرحلة الثانية من التعليم الجامعي . ويسمح القانون للرأسماليين بالاشراف على توجيه الطلاب نحو الاختصاصات التي يحتاجها اقتصاد البلاد الرأسمالي .

فرنسا

بمناسبة عيد الطبقة العاملة العالمية

هل تتحوّل الانتفاضة الطلابية في فرنسا الى ثورة شاملة ؟

إصلاح جامعي أم إلغاء

بقلم : علي بن عاشور

ويجيء هذا القانون في « عز » الازمة الاقتصادية التي تعصف بفرنسا كغيرها من البلدان الرأسمالية الاخرى والتي على الرغم من فتاوي أرباب الخبراء الاقتصاديين تزداد تفاقما يوما عن يوم . وتأتي البطالة كاحدى تعبيراتها التي تهدد يوميا كل انسان في خبزه اليومي . فالانسان يبام ولا يدري ماذا سيحل به غدا . لكنه يدرك انه سيفقد شيئا ما ؛ وبالتالي فانه يوميا بانتظار المجهول . ولعل اكثر فئات المجتمع انتصارا لذلك هم الشباب . فقد بلغت نسبة بطالة الشباب (أي الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ عاما) ٤٠٪ من مجموع العاطلين عن العمل . لهذا وفي معرض تبريرها لصدور القانون ؛ قالت سكرتيرة الدولة : « ان قانون الاصلاح يأتي في سياق مكافحة البطالة لدى الشبيبة المثقفة » . ذلك ان ٧٠٠ الف طالب جامعي في فرنسا (مقابل ٢٥٠ الف في المانيا و ٢٥٠ الف في بريطانيا) يعرفون قبل غيرهم ان ٨٠ الف فقط منهم سيحصلون على الشهادة الجامعية وان نصف هؤلاء (٤٠ الف) فقط أيضا سيتوظفون في التعليم او البحث او الادارة العمومية ؛ أما الباقي : فالمصير مجهول تماما !

اذا كانت السلطات الفرنسية بقانونها الجديد تريد تطعيم الشباب على مستقبلهم بتوجيههم نحو دراسة المهن وبالتالي تحويلهم الى عمال أجراء بعد تخرجهم ؛ فان ذلك سوف لن يكون الحل الشافي لمشاكلها المستعصية على الحل ؛ فالعمال أنفسهم اليوم لا يجدون العمل وتحركاتهم المطلبية في تصاعد مستمر . اذن فان الغاء جيش عرمرم اخر من العمال المثقفين الى سوق العمل سيخلق للرأسمالية مزيدا من المشاكل (وخاصة النوعية منها) .

قلنا ان قانون الاصلاح الجامعي الجديد جاء لتطمين الشباب . وبالمقابل فان الرئيس جيسكار ديستان أصدر جملة قرارات اخرى لتطمين العمال؛ فقد نصت تلك القرارات على اصلاح نظام الضرائب بما يخفف العبء على كاهل الفئات الشعبية كما نصت على مشاركة العمال في تسيير المصانع والمؤسسات الاقتصادية . ولا تعدو هذه المشاركة عن كونها استغلال الابداعات العمالية في تسيير المؤسسات على أحسن وجه ؛ نظرا لان العمال هم الذين يعرفون كيفية الانتاج باعتبارهم المنتجين المباشرين ؛ لذا فان هذا التسيير ما هو بالنهاية الا تسيير العمال لاغترابهم الذاتي . وهذا ما أدركه العمال برفضهم لقرارات جيسكار ديستان ؛ رغم رفض الكثير من أرباب العمل لتلك القرارات لانهم اعتبروها « بسارية زيادة عن اللزوم » !

لذا دخل الكثير من أماكن العمل في الاضرابات احتجاجا على قرارات ديستان اضافه للمطالب الاقتصادية الملحة ؛ حيث أعلن العمال انهم لن يتوقفوا عن ذلك حتى أول أيار الذي قرره العمال والنقابات : « أول أيار استثنائي » قصد تصعيد مظاهر النضال ضد السلطة وأرباب العمل .

المظاهرات والاضرابات تجتاح فرنسا

وفي انتظار أيار « الاستثنائي » أيضا ؛ ومنذ أكثر من شهرين ، تنادى الطلاب ومختلف تنظيماتهم النقابية في جميع الاحياء الجامعية والمعاهد والكليات الى جمعيات عمومية مفتوحة لمناقشة قانون « اصلاح المرحلة الثانية من التعليم الجامعي » . وسرعان ما بدأت لجان الاضرابات ولجان المظاهرات ولجان التعبئة المنتخبة من القاعدة مباشرة في التشكل : من كلية الى كلية ؛ ومن جامعة الى أخرى حتى شملت الـ ٧٦ جامعة الموجودة في فرنسا . وعبر الطلاب عن رفضهم القاطع للقانون الجديد باعلان الاضرابات المفتوحة في الجامعات واحيائها وتنظيم المظاهرات من باريس ؛ ليون ؛ مرسيليا ؛ بوردو ؛ غرونوبل ... وباختصار في طول البلاد وعرضها واضطر الطلاب في كل تظاهراتهم تقريبا الى استعمال وسائل العنف مقابل العنف الهمجي الذي واجهتهم به أجهزة قمع السلطة ؛ متسلحين بكوكتيلات المولوتوف والعصي الحديدية والحجارة .. الخ . وكانت المظاهرات تجمع عشرات الالوف من الطلبة ولا تنفرق الا اثر وقوع المعارك الدامية مع الشرطة وسقوط عشرات ؛ وفي احيان اخرى ، مئات الجرحى من الطرفين (٤٣ جريحا من رجال الشرطة في مظاهرة ١٦ اذار في باريس وحدها) اضافة لعشرات الطلاب الذين تعتقلهم السلطة اثناء كل مظاهرة . بينما كانت تشل جميع مظاهر الحياة في مدن بأكملها : فحركة المرور تتوقف والمحلات تغلق ابوابها خوفا من عنف الطلاب او ضراوة الاشتباكات مع الشرطة . وحسنا فعل الطلاب ؛ حينما لا ينسون في كل مرة مهاجمة عدد من المحلات التجارية الكبرى انتقاما من الرأسماليين . وفي احدى تظاهراتهم ؛ لم ينس الطلاب ان يكونوا أمميين ؛ عندما اضرموا النار في مبنى القنصلية الاسبانية في مدينه ليون تعبيرا عن تضامنهم مع عمال اسبانيا في نضالهم ضد سلطة حوان كارلوس الفاشية .

مئات الجرحى .. والطلبة مستمرون

مع تعنت السلطات الفرنسيد ورفضها الرجوع عن « قانون الاصلاح » راهنت سكرتيرة الدولة للجامعات على عطلة الربيع ؛ حيث اعتقدت ان حركة الطلاب الاحتجاجية ستتوقف مع بداية العطلة في حين ستتكفل الامتحانات التي تلي انتهاء العطلة بمنع الطلبة حتى عن التفكير في استئناف حركتهم . الا ان مراهنة السكرتيرة ـ لسوء حظها ـ كانت خاسرة . فبالاضافة الى ان الطلاب في بعض الجامعات قد رفضوا حتى مغادرتها وعسكروا فيها معلنين احتلالها (جامعة اميان مثلا) ؛ فان الحركة بانتهاء العطلة عادت أكثر شدة وعنفا ومرعبة في نفس الوقت السلطة البورجوازية باحتمالات قدوم أيام عجاف قد تكون أكثر رعبا من يوميات أيار ٦٨ العارمة . ولعل أقوى مظاهر الحركة بعد العطلة هي مظاهرات ١٥ نيسان التي عمت كل المدن الفرنسية وسقط اثناءها مئات الجرحى من الطلاب والشرطة اثر الاشتباكات العنيفة التي دارت من حي الى حي ومن شارع الى شارع . وقد اعلن طلاب باريس بعد اعتقال عدد كبير من رفاقهم ان الحي اللاتيني (حيث توجد كليات السوربون) قد أصبح منطقة محررة بعد ان تراجعت منه الشرطة، مثلما تراجعت في أيار ٦٨ أمام متاريس الطلبة والعمال .

سكرتيرة الدولة للجامعات : أليس سونيي سيبتي

تأييد من الجميع ...

منذ اللحظات الاولى لتحرك طلاب الجامعات ؛ انضمت معظم ثانويات فرنسا واعلنت الاضراب العام وشارك تلامذتها في مختلف المظاهرات التي جرت قبل وبعد العطلة الربيعية . كما انضم اساتذة الجامعات والثانويات ونقاباتهم الى الطلبة واعلنوا تأييدهم للطلبة بشتى الوسائل وانهم هذه المرة يدا في يد مع الطلبة ضد السلطة وحتى تحقيق مطالبهم . وقد قرر مجلس رؤساء الجامعات الفرنسية في اجتماعه يوم ١٦ نيسان رفضه لقانون الاصلاح ؛ بل ان بعض الرؤساء قد صرحوا بأنهم سيمددون السنة الجامعية حتى يتمكن الطلاب من مواصلة نضالهم حتى الغاء القانون ؛ وجاء ذلك كرد على التهديد الذي اطلقته سكرتيرة الدولة للجامعات حين قالت انها ستكون مضطرة ؛ في حالة استمرار الاضطرابات ؛ الى الغاء الامتحانات وبالتالي الغاء السنة الجامعية ٧٥ ـ ١٩٧٦ على حساب الطلاب .

أمام عنف السلطة الذي لم يسبق له مثيل عبرت بعض النقابات العمالية اليسارية عن تأييدها المطلق لحركة الطلاب حتى تحقيق مطالبهم ؛ وخاصة الكونفدرالية الفرنسية الديمقراطية (ثاني النقابات الفرنسية) التي هددت السلطة على لسان رئيسها السيد ادمون مير . ورغم مساندتها عن طريق مهرجانات التضامن التي

اصطدام مع اجهزة القمع